

مقتطفات كتاب " الطب النفسي الإيقاعى التطورى " الباب الأول: " النظرية ومعالم الفروض الأساسية " (7)



yehiatrakhawy@hotmail.com

نشرة "الإنسان" 2021/12/18

السنة الرابعة عشرة - العدد: 5222

بروفيسور يحيى الرخاوى - الطب النفسي، مصر

مقدمة:

نواصل اليوم هذا النشر المنقطع من هذا الكتاب، لعله الأهم، وآمل أن نُقرأ نشرة الأسبوع الماضى والمقارنة بين الطب النفسي التطورى والطب النفسي الإيقاعى التطورى قبل متابعة نشرة اليوم التي سنقدم فيها ما تيسر من الفصل الثانى.

يحيى

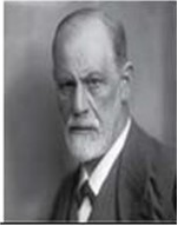
الفصل الثانى

مراحل تشكيل النظرية

.....

نبذة تاريخية/ شخصية(2) :

لم تكن المسألة اختيارا بحتا، منذ ما يقرب من نصف قرن وأنا أعيش معهم، بينهم، فيهم فى، وكنت حين بدأت قراءتى فى مدارس علم النفس المعاصرة، وكان الكتاب شبه مقرر فى دبلوم التخصص (حوالى سنة 1960)، تأليف وودورث Woodworth، رحى أتعجب من كثرة هذه المدارس وتنوع رؤيتهم لما هو إنسان، وكنت كلما قرأت مدرسة وجدت أنها صحيحة، فإذا انتقلت إلى أخرى وجدت أيضا أنها صحيحة، فثالثة ورابعة وهكذا، إلا فرويد الخطير، هو الذى كان



سيجموند فرويد

يثيرنى فأرى أن مدرسته صحيحة أحيانا وشاطحة أحيانا، لكن الذى أعجبنى فيه بوجه خاص هو أنه كان قادرا على التغيير فى حدود ما يضطر إليه، فتمّ فكر فرويدى باكر، وآخر متأخر، وكان من أحسن أفكاره الباكرة التى فرحت بها - برغم أنه قد تنكر لها مؤخرا - هى تلك التى لم تنشر إلا بعد موته وهى كتيب "المشروع" The project، ثم أعجبتنى فيه أيضا شجاعته التى اقتحم بها الموت بأطروحة "غريزة الموت"، التى قيل إنه تراجع عنها قبل أن يقضى أيضا، أما فرويد الشخص المهزوز الذى يغمى عليه حين يشتد خلافه فى مناقشته مع كارل يونج، فقد وصلنى منه ضعفه البشرى، وبصراحة لم أتأكد من علاقاته واعتماده على الهيرويين كما قيل، لكنه ظل عندى فرويد العظيم الذى احترمه ولا أتبعه .

لم تكن المسألة اختيارا بحتا، منذ ما يقرب من نصف قرن وأنا أعيش معهم، بينهم، فيهم فى

كنت حين بدأت قراءتى فى مدارس علم النفس المعاصرة، وكان الكتاب شبه مقرر فى دبلوم التخصص (حوالى سنة 1960)، تأليف وودورث Woodworth، رحى أتعجب من كثرة هذه المدارس وتنوع رؤيتهم لما هو إنسان،

كنت كلما قرأت مدرسة وجدت أنها صحيحة، فإذا انتقلت إلى أخرى وجدت أيضا أنها صحيحة، فثالثة ورابعة وهكذا، إلا فرويد الخطير، هو الذى كان يثيرنى فأرى أن مدرسته صحيحة أحيانا وشاطحة أحيانا

الذى أعجبنى فيه (فرويد) بوجه خاص هو أنه كان قادرا على التغيير فى حدود ما يضطر إليه، فتمّ فكر فرويدى باكر، وآخر متأخر

كان من أحسن أفكاره (فرويد) الباكورة التي فوجئت بها - برغم أنه قد تنكر لها مؤخرا - هي تلك التي لم تنشر إلا بعد موته وهي كتيب "المشروع" The project. ثم أعجبتني فيه أيضا شجاعتها التي افتحم بها الموت بأطروحة "خريزة الموت"، التي قيل إنه تراجع عنها قبل أن يقتضى أيضا

أما فرويد الشخص الممزور الذي يغمى عليه حين يشتد خلافه هي مناقشته مع كارل يونج، فقد واصلني منه ضعفه البشري

بصراحة لم أتأكد من علاقته واعتماده على الصبريين كما قيل، لكنه ظل محدى فرويد العظيم الذي احترمه ولا أتبعه

كان "سيدنا" ومولانا يونج من أطيّب من عرفتهم حتى الانبهار وهو يغور نحورا إلى "النماذج الأولية" ولا يتردد في السباحة في اللاشعور الجمعي وهو يخوض "تجربة الرب".!

حين ذهبنا إلى فرنسا (1968-1969) لعام واحد؛ حضرت بانتظام مع "هنري إي" Henry Ey (جنبا إلى جنب مع حضورات متقطعة "لجان ديلاي" Jean Delay، مكتشف أول عقار ضد الذهان، وهو من أعظم العقاقير - من وجهة نظري - حتى الآن (الكولوربرومازين Chlorpromazine)

وكان "سيدنا" ومولانا يونج من أطيّب من عرفتهم حتى الانبهار وهو يغور نحورا إلى "النماذج الأولية" ولا يتردد في السباحة في اللاشعور الجمعي وهو يخوض "تجربة الرب".!



كارل يونج



ألفريد أدلر Alfred Adler

أما الأستاذ (الخوجة) العنيد ألفرد أدلر Alfred Adler فقد مثل لي التحدي بالمدرسية التي يكاد يزعم من خلالها أن "التربية" قادرة على أن تصلح ما أفسد الدهر، بل وربما: وفساد الوراثة أيضا!!

وحين ذهبت إلى فرنسا (1968-1969) لعام واحد؛ حضرت بانتظام مع "هنري إي" Henry Ey (جنبا إلى جنب مع حضورات متقطعة "لجان ديلاي" Jean Delay، مكتشف أول عقار ضد الذهان، وهو من أعظم العقاقير - من وجهة نظري - حتى الآن (الكولوربرومازين Chlorpromazine) وكذا حضرت بضع سينمات "جاك



هنري إي Henry Ey

لاكان Jacques Lacan" (شخصيا) ولم أستطع أن أفهم من فرنسيته ما يسمح لي بالتعليق!، وقد كان هؤلاء الثقات يتناوبون المحاضرات أو عرض

الحالات وحلقات النقاش في نفس القاعة في مستشفى "سانت آن" الجامعي بالحي الثالث عشر في باريس، جذبني من كل هؤلاء "هنري إي" وهو ينبه أن مسألة اللاشعور الفرويدية هذه هي أقل من الإحاطة بالإنسان، وأنه ينتمي إلى - أو لعله صاحب مدرسة - "علم نفس الشعور"، حيث يعتبر أن الشعور) (Conscience Consciousness، هو الرائد، وما دون ذلك يتبعه أو لا يتبعه.



جاك لاقان Jacques Lacan

وكان النموذج الذي يحتذيه هنري إي في رؤيته لترتيب مستويات الشعور، ومن ثم منظومات الدماغ، هو نموذج الفيلسوف طبيب الأعصاب "هوجلج جاكسون Huglig Jackson" الذي علمنا منذ القرن التاسع عشر كيف أن المخ البشري مرتب بشكل هيراركي متصاعد، وأن الأعراض التي تظهر في اضطرابات الجهاز العصبي مرتبطة بهذا الترتيب من حيث أن مجموع فشل

المستوى الأعلى، بالإضافة إلى ظهور (إطلاق) Release المستوى الأدنى (الأقدم تطوريا)، هو الذي يحدد الصورة الكلينية لمرضى ما، كما طمأنني هنري إي إلى ما خطر لي أثناء الممارسة عن علاقة الصرع بوجه خاص بالأمراض النفسية، وأيضا أعاد لي تقني بأن كل هذه المدارس، هي ذات جذور بيولوجية، فقد كان يُطلق على فكره مصطلح "البيولوجية الدينامية" - Organo dynamism ولست متأكدا إن كان اسماه بـ "النظرية" أم لا .

وفي فرنسا أيضا أتاحت لي الفرصة لظروف شديدة الخصوصية (ذكرتها في موضع آخر فيما يشبه السيرة الذاتية (3) أن أقرأ كتاب "جانترب" Guntrip عن: "الظاهرة الشيزيدية والعلاقة بالموضوع والذات" (4) فانفتح لي أفق لم أكن أحلم به في نقد فرويد من ناحية (مؤتسا بنقد تابعيه المخلصين)، والتعرف على جانترب Guntrip وميلاني كلين Melanie Klein وفيربيرن Fairbairn من ناحية أخرى، وظللت وأنا أقرأ هذا الكتاب ملتهما صفحاته أتعجب على خيال هؤلاء العلماء وهم يربطون كل

شيء تال بعلاقة الطفل بأمه في الشهور الأولى وهو يمر بالمواقف المختلفة من الشيزيدية إلى البارنوية إلى الاكتئابية، ليظل متأثراً بموقفه الأول هذا طول حياته، حسب موقف أمه منه بالذات وموقفه منها في هذه المراحل، وهي "الموضوع" الأول له، في هذه الأشهر الباكرة، وبالرغم من اقتناعي بسلامة معظم أفكار هذه المدرسة ودقة الملاحظات التي قدمتها وحبكة الخيال، إلا أنني كنت متحفظاً طول الوقت على أن يكون موقف الأم أساساً هو المسئول عن مدة ومدى وأثار



فيريبرن Fairbairn



ميلاني كلاين

التوقف في هذه المحطات النمائية التي اسمتها هذه المدرسة بالمواقف، وهي الموقع الشيزيدي Schizoid Position والموقع البارنوي Paranoid Position، فالموقع الاكتئابي Depressive Position وذلك بعد أن عدل جانترب الترتيب) من هنا بدأت نقلتي إلى البحث عن جذور هذه المواقف في الفكر التطوري، وأننا نرثها أساساً

من أسلافنا الأحياء، وأنها تختلف شدة وضعفاً حسب جذورنا التطورية، وأيضاً حسب التاريخ الوراثي الأقرب، وأن دور الأم هو دور تدعيمي لهذه المواقف الواحد تلو الآخر، ليس فقط لاختلاف موقفها وطريقة علاقاتها بالكيان الطفلي النامي، وظلت هذه الأفكار معي حتى أني اعتبرها من أهم ما دفعني إلى منظور النقلة التطورية التي أقدمها في هذه النظرية حالاً.

وحين رجعت إلى الوطن، ومنذ أوائل السبعينات وجدت نفسي في رحاب سلسلة أخرى من الحوار بين

الممارسين وبعض هيئة التدريس في قسمنا في كلية طب قصر العيني حول المدارس الأحدث: كان من

أهمها مدرسة التحليل التفاعلاتي Transactional Analysis لصاحبها الدمث إريك بيرن rne،

"Transactional Analysis in Psychotherapy", U.S.A by Grove press, inc,

(5)> "New York (1961)", الذي أتصور أنه لم تتح له فرصة كافية كي يستثمر هذا الفتح الهائل

فشوّه تلاميذه بالتبسيط والتسطيح، ثم "ساندور رادو" صاحب الفكر الهيراركي البيولوجي المتناغم،

ويقفز أستاذي وصديقي (من القراءة طبعا)، سيلفانو أريتي (6) Silvano Arieti إلى وسط سوق

المدارس دون أن يصنف نفسه كصاحب مدرسة خاصة، لكنها تصلني باعتبارها المدرسة المعرفية الإدراية

Cognitive Volitional Theory وإن كانت شهرة أريتي أكثر هي من خلال كتابه العظيم "تفسير

الفصام Interpretation of Schizophrenia"،



إريك بيرن Eric Berne

ثم وصلني - ربما مصادفة - كيف أن شولمان (7) Shulman من خلال

كتابه "مقالات في الفصام Essays in Schizophrenia" قد عزى

إلى ألفرد أدلر Alfred Adler وعلم "النفس الفردية" مفهوماً غائياً يعطى

لأعراض الفصام معنى ودوراً، ولم أكن قد أدركت باكراً أن "أدلر" يمثل كل هذه

الغائية التي التقطها شولمان، فإذا بشولمان يرسم مسيرة الفصام على لسان رحلة

فصامي وكأنه اختار كل مرحلة ليحقق بأعراضه وتفككه وتفسخه وانسحابه ما لم يستطع أن يحققه

في صحته التي اعتبرها الفصامي: اغترابه، وهذه "الغائية" هي من أساسيات

الفكر التطوري.

وبعد

هكذا ظللت أمارس مهنتي طول الوقت وأنا محاط بكل هذه الأفكار الأنوار

الهادية المكتملة بعضها بعضاً، أخذاً من كل منها ما يناسب مريضى: وقرأت له

جذبني من كل هؤلاء "هنري إي" وهو ينبه أن مسألة اللاشعور الفرويدية هذه هي أقل من الإحاطة بالإنسان، وأنه ينتمى إلى - أو لعله صاحب مدرسة - "علم نفس الشعور"، حيث يعتبر أن الشعور (الوعي Conscience) هو Consciousness، وما دون ذلك يتبعه أو لا يتبعه

كما طمأنني هنري إي إلى ما خطر لي أثناء الممارسة من علاقة الضريح بوجه خاص بالأمراض النفسية، وأيضاً أحماد لي ثقفتي بأن كل هذه المدارس، هي ذات جذور بيولوجية

كان يُطلق على فكره مصطلح "البيولوجية الدينامية" Organo-dynamism ولست متأكداً إن كان اسماها بـ "النظرية" أم لا

كنت متحفظاً طول الوقت على أن يكون موقف الأم أساساً هو المسئول عن مدة ومدى وأثار التوقف في هذه المحطات النمائية التي اسمتها هذه المدرسة بالمواقف، وهي الموقع الشيزيدي Schizoid Position والموقع البارنوي Paranoid Position، فالموقع الاكتئابي Depressive Position

بدأت نقلتي إلى البحث عن جذور هذه المواقف في الفكر التطوري، وأننا نرثها أساساً من أسلافنا الأحياء، وأنها تختلف شدة وضعفاً حسب جذورنا التطورية، وأيضاً حسب



Bernard H Shulman

بألية التشكيل الإبداعي المتنوع فى إعادة إبداع قراءة النص البشرى للمريض (والمعالج (8) (راضيا بالخطوط الأساسية وما استلهم منها، وواصلت وأنا:

• أحاول أن استمع للمريض أكثر من بحثى عن الأعراض وطبعاً أكثر من استماعى للمشاكل والمطالبُ والبحث عن الأسباب الأقدم، دون إهمال أى من ذلك!

• أحاول أن أفهم وظيفة المرض أكثر من تركيزى على تسمية مظاهره،

• ثم أحاول أن أمضى مع المريض إلى فحص ما وصلنا من فروض بالسبيل السليم

• لأبحث معه عن سبيل آخر بدلا من تماديه فى التدهور إلى المآل المرضى السلبى مستعملا فى ذلك كل المتاح من معارفى وعلمى وخبراتى وأدواتى وعقاقيرى بلا استثناء (ولعل هذا هو محور توجه الطب النفسى الإيقاعى التطورى).!!

التدهور البراق:

ثم لحق الطب النفسى التقليدى ما لحقه من "عولمة" مغيرة (بعد أمركة خبيثة) رافعا لواء ما أسموه النموذج الطبى Medical model، تلك الموجة التى كادت تشككنى فيما أفعل لكننى واصلت نقدى وتعلمى من مرضاى لأتبين أكثر فأكثر أن الطب النفسى كاد ينساق وراء فروع الطب الأخرى فى حكاية توحيد اللغة وزعم اللايديولوجية، كما زعم اللانظرية Atheoretical حتى ضاعت معالم كل شيء لحساب وصف سطحى كل تركيزه هو على: أن نتفق: Reliability: (!!)

نتفق على ماذا؟ ليس مهما، المهم أن نتفق.

أين الهدف؟ أين الإنسان؟ ماذا نفعل ونحن نعالج؟

لنصل إلى ماذا؟ يعنى ماذا؟

كل هذا كاد يتوارى فى خلفية وعى الممارسين ما دمنا قد اتفقنا، على الاسم، والسبب

الكيميائى، وأحيانا فك العقد الباكرة!!

أين المعنى؟

أين التاريخ الحيوى؟

أين الوعى المطلق؟

أين امتداد دوائر الوعى: إليه؟.

الخلاصة:

هكذا وجدت نفسى أمارس طباً آخرًا بتوجه تاريخى وإنسانى وإيمانى (ليس تدينا بالمعنى السائد) دون إهمال العقاقير والتأهيل "وإعادة التشغيل" وأحقق نتائجاً تساعدنى على الاستمرار .

وتمضى عشرات السنين لتتاح الفرصة لهذا الطب أن يجد له اسماً، ولهذه النظرية أن تسجل منتظمة، ولهذه المحاولة أن تُعرض بشكل أكثر تفصيلاً ودعماً تحت مسمى: الطبنفسى الإيقاعى التطورى.

==> هكذا...

.....

.....

التاريخ الورائى الأقرب، وأن دور الأم هو دور تدعيمى لهذه المواقف الواحد تلو الآخر

ثم وصلنى - ربما صادفة - كيمى أن شولمان Shulman (7) من خلال كتابه "مقالات فى الفصام" Essays in Schizophrenia قد عزى إلى ألفرد أدلر Alfred Adler وعلم "النفس الفردى" مفصوماً ثانياً يعطى لأعراض الفصام معنى ودوراً

لم أكن قد أدركت باكراً أن "أدلر" يمثل كل هذه الغائبة التى التقطها شولمان، فإذا بشولمان يرسم مسيرة الفصام على لسان رحلة فصامى وكأنه اختار كل مرحلة ليحقق بأعراضه وتفككه وتفسنه وانسحابه ما لم يستطع أن يحققه فى صحته التى اختبرها الفصامى: اختراجه، وهذه "الغائبة" هى من أساسيات الفكر التطورى

ظللت أمارس مهنتى طول الوقت وأنا محاط بكل هذه الأفكار الأنوار المادية المكتملة بعضها بعضاً، أخذاً من كل منها ما يناسب مريضى: وقراءتى له بألية التشكيل الإبداعى المتنوع فى إعادة إبداع قراءة النص البشرى للمريض (والمعالج) (8) راضياً بالخطوط الأساسية وما استلهم منها

أحاول أن استمع للمريض أكثر من بحثى عن الأعراض وطبعاً أكثر من استماعى للمشارك والمطالبُ والبحث عن الأسباب الأقدم، دون إهمال أى من ذلك!

(ونكمل غداً)

بتقديم الفصل الثالث: "الخطوط العريضة للأفكار الأولى"

أحاول أن أفهم وظيفة المرض أكثر من تركيزي على تسمية مظاهره.

ثم أحاول أن أمضي مع المريض إلى فحص ما وصلنا من فروض بالسبيل السليم لأبحث معه عن سبيل آخر بدلاً من تماديه في التدهور إلى المآل المرضي السلبي مستعملاً في ذلك كل المتاع من معارفني وعلمي وخبراتي وأدواتي وعقائبي بلا استثناء

ثم لحق الطب النفسي التقليدي ما لحقه من "مؤلمة" مغبرة (بعد أمرئة خبيثة) وافتعال لواء ما أسماه النموذج الطبي Medical model، تلك الموجة التي كادت تشككني فيما أفعل لكنني واصلت نفدي وتعلمي من مرضاي

- [1] انتهيت من مراجعة أصول "الطب النفسي الإيقاعحيوي التطوري" وهو من ثلاث أبواب: وسوف نواصل النشر البطيء آملاً في حوار، منشورات جمعية الطب النفسي التطوري (2021) (تحت الطبع)
- [2] كتبت هذه الكلمة حوالي سنة 1980، وسوف أقدمها كما هي لأناقش ما تغير أو تطور فيها فيما بعد.
- [3] يحيى الرخاوي "سلسلة الترحالات" الترحال الثاني "الموت والحنين" الفصل الخامس (ص 209) الطبعة الأولى (2000) منشورات جمعية الطب النفسي التطوري.
- [4]- Harry Guntrip, Schizoid phenomena, object-relations, and the self, Published: (1969) by International Universities Press in New York .
- "Transactional Analysis in Psychotherapy", U.S.A by Grove press, inc, New York (1961) - Eric Berne [5]،
- [6] - Silvano Arieti Interpretation of Schizophrenia, Basic Books, Inc (first edition, 1955)
- [7] - Bernard H Shulman, Essays in schizophrenia Williams & Wilkins, (1968) ،Baltimore
- [8] يحيى الرخاوي: سلسلة "فقه العلاقات البشرية" (4) "قراءة في نقد النص البشري للمعالج" الفصل الرابع: عن "ماهية الحياة" لدى المعالج فالمتعالج، (عبر ديوان أغوار النفس) (2018) منشورات جمعية الطب النفسي التطوري.

إرتباط كامل النص مع المقترحات:

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD181221.pdf>

إرتباط كامل النص:

<https://rakhawy.net/%d9%85%d9%82%d8%aa%d8%b7%d9%81%d8%a7%d8%aa-%d9%83%d8%aa%d8%a7%d8%a8-%d8%a7%d9%84%d8%b7%d8%a8%d9%86%d9%81%d8%b3%d9%89-%d8%a7%d9%84%d8%a5%d9%8a%d9%82%d8%a7%d8%b9%d8%ad%d9%8a%d9%88%d9%89-%d8%a7-4/>

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيقاً بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

الكتاب السنوي 2021 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الصدار العاشر)

الشبكة تدخل عامها 21 من التأسيس و 19 على الوجود

21 عاماً من الضج... 19 عاماً من الإنجازات

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>